ثقلا في نفسه وكسلا وقلة نشاط وكانه مشكوك بشكال او مقيد بقيد حتى يقضي تلك الفريضة فكانما انشط من عقال
الاصل لا حاجة لله فيمن ليس في نفسه وماله نصيب الشرح قد جاء في الخبر المرفوع اذا احب الله عبده ابتلاه في ماله
او نفسه وجاء في الحديث المرفوع اللهم اني اعوذ بك من جسد لا يمرض ومن مال لا يصاب وروى عبد الله بن انس عنه
صلى الله عليه وآله انه قال ايكم يحب ان يصح فلا يسقم قالوا كلنا يا رسول الله قال اتحبون ان تكونوا كالحمر الصائلة الا
تحبون ان تكونوا اصحاب بلايا واصحاب كفارات والذي بعثني بالحق ان الرجل ليكون له الدرجة في الجنة فلا
يبلغها بشيء من عمله فيبتليه الله فيبلغه درجة لا يبلغها بعمله وفي الحديث ايضا ما من مسلم يمرض مرضا الا
حت الله به خطاياه كما تحت الشجرة ورقها ابو عثمان النهدي قال دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله اعرابي
ذو جثمان عظيم فقال له متى عهدك بالحمى قال ما اعرفها قال بالصداع قال ما ادري ما هو قال فاصبت بمالك قال
لا قال فرزئت بولدك قال لا فقال عليه السلام ان الله ليكره العفريت النفريت الذي لا يرزأ في ولده ولا يصاب في ماله وجاء
في بعض الآثار اشد الناس حسابا الصحيح الفارغ وفي حديث حذيفة رض ان اقر يوم لعيني ليوم لا اجد فيه طعاما
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده بالطعام
وان الله يحمي عبده المؤمن كما يحمي احدكم المريض من الطعام وفي الحديث المرفوع ايضا اذا احب الله عبدا ابتلاه
فاذا احبه الحب البالغ اقتناه قالوا وما اقتناه قال لا يترك له مالا ولا ولدا مر موسى عليه السلام برجل كان يعرفه مطيعا
لله تعالى قد مزقت السباع لحمه واضلاعه وكبده ملقاة فوقف متعجبا فقال اي رب عبدك المطيع لك ابتليته بما
ارى فاوحى الله اليه انه سألني درجة لم يبلغها بعمله فجعلت بما ترى له سبيلا الى تلك الدرجة وجاء في الحديث ان
زكريا لم يزل يرى ولده يحيى مغموما باكيا مشغولا بنفسه فقال يا رب طلبت منك ولدا انتفع به فرزقتنيه لا انتفع
لي فيه فقيل له انك طلبته وليا والولي لا يكون الا هكذا اسيفا فقيرا مهموما وقال سفيان الثوري كانوا لا
يعدون الفقيه فقيها من لا يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة جابر بن عبد الله يرفعه يود اهل العافية يوم القيمة
ان لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب اهل البلاء الاصل توقوا البرد في اوله وتلقوه في آخره فانه يفعل
في الابدان فعله في الاشجار اوله يحرق وآخره يورق الشرح هذه مسئلة طبيعية قد ذكرها الحكماء قالوا انما كان تاثير
الخريف في الابدان وتوليده الامراض كالزكام والسعال وغيرهما اكثر من تاثير الربيع مع انهما جميعا فصلا الاعتدال
واجابوا بان برد الخريف يفجأ الانسان وهو معتاد لحر الصيف فينكأ فيه ويسد مسام دماغه لان البرد يكثف ويسد
المسام فيكون كمن دخل من موضع شديد الحرارة الى خيش بارد فاما المنتقل من الشتاء الى فصل الربيع فانه لا يكاد
برد الربيع يؤذيه ذلك الاذى لانه قد اعتاد جسمه برد الشتاء فلا يصادف من برد الربيع الا ما قد اعتاد ما هو اكثر منه
فلا يظهر لبرد الربيع تاثير في مزاجه فاما لم اورقت الاشجار وازهرت في الربيع دون الخريف فلما في الربيع من الكيفيتين
اللتين هما منبع النمو والنفس النباتية وهما الحرارة والرطوبة والخريف خال من هاتين الكيفيتين ومستبدل بهما
ضدهما وهما البرودة واليبس المنافيان للنمو وحياة الحيوان والنبات فاما لم يكن الخريف باردا يابسا والربيع حارا
رطبا مع ان نسبة كل واحد منهما الى الفصلين الخارجين عن الاعتدال وهما الشتاء والصيف نسبة واحدة فان تعليل
ذلك مذكور في الاصول الطبية والكتب الطبيعية وليس هذا الموضع مما يحسن ان نشرح فيه مثل ذلك الاصل عظم الخالق
عندك يصغر المخلوق في عينك الشرح لا نسبة للمخلوق الى الخالق اصلا وخصوصا البشر لانهم بالنسبة الى فلك القمر
كالذر بالنسبة الى قرص الشمس بل دون هذه النسبة بما يعجز الحاسب الحاذق عن حسابه ذلك وفلك القمر بالنسبة
الى فلك المحيط دون هذه النسبة ونسبة الفلك المحيط الى الباري سبحانه كنسبة العدم المحض والنفي الصرف الى الموجود
الثابت بل هذا القياس ايضا غير صحيح لان المعدوم يمكن ان يصير موجودا ثابتا والفلك لا يتصور ان يكون صانع العالم
الواجب الوجود لذاته وعلى الجملة فالامر اعظم من كل عظيم واجل من كل جليل ولا طاقة للعقول والاذهان ان يعبر
عن جلال ذلك الجناب وعظمته بل لو قيل انها لا طاقة لها ان تعبر عن جلال مصنوعاته الاولى المتقدمة علينا بالرتبة

العقل

العقلية والزمانية لكان ذلك القول حقا وصدقا فمن هو المخلوق ليقال ان عظم الخالق ليصغره في العين ولكن كلامه
عليه السلام محمول على مخاطبة العامة الذين تضيق افهامهم عما ذكرناه الاصل وقال ع وقد رجع من صفين فاشرف
على القبور بظاهر الكوفة يا اهل الديار الموحشة والمحال المقفرة والقبور المظلمة يا اهل التربة يا اهل الغربة
يا اهل الوحدة يا اهل الوحشة انتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق اما الدور فقد سكنت واما الازواج
فقد نكحت واما الاموال فقد قسمت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم التفت الى اصحابه فقال اما والله
لو اذن لهم في الكلام لاخبروكم ان خير الزاد التقوى الشرح الفرط المتقدمون وقد ذكرنا من كلام عمر ما يناسب
هذا الكلام لما طعن في القبور وعاد الى اصحابه احمر الوجه ظاهر العروق قال وقفت على قبور الاحبة فناديت
الحديث الى آخره فقيل له فهل اجابتك قال نعم قالت ان خير الزاد التقوى وقد جاء في حديث القبور ومخاطبتها
وحديث الاموات وما يتعلق بذلك شيء كثير يتجاوز الاحصاء في وصية النبي صلى الله عليه وآله لابي ذر زر
القبور تذكر بها الآخرة ولا تزرها بالليل واغسل الموتى يتحرك قلبك فان جسد الخاوي عظة بليغة وصل على
الجنائز فان ذلك يحزنك فان الحزين في ظل الله وجد على قبر مكتوبا مقيم الى ان يبعث الله خلقه لقاؤك لا
يرجى وانت قريب تزيد بلى في كل يوم وليلة وتنسى كما تبلى وانت حبيب وقال الحسن مات صديق لنا صالح
فدفناه ومددنا على القبر ثوبا فجاء صلة بن اشيم فرفع طرف الثوب ونادى يا فلان ان تنج منها تنج من ذي عظيمة
والا فاني لا اخالك ناجيا وفي الحديث المرفوع انه ع كان اذا اتبع الجنازة اكثر الصمات ورؤي عليه كآبة ظاهرة
واكثر حديث النفس سمع ابو الدرداء رجلا يقول في جنازة من هذا فقال انت فان كرهت فانا سمع الحسن امرأة تبكي
خلف جنازة وتقول يا ابتاه مثل يومك لم اره فقال بل ابوك مثل يومه لم يره وكان مكحول اذا رأى جنازة قال اغدوا
فانا رائحون وقال ابن شوذب اطلعت امرأة صالحة في لحد فقالت لامرأة معها هذا كندوج العمل يعني خزانته
وكانت تعطيها الشيء بعد الشيء تامرها ان تتصدق به فتقول اذهبي فضعيه في كندوج العمل شاعر اجارتنا
ان اتاها بنعي ام يكون لها اصطبار اذا ما اهل قبري ودعوني وراحوا والاكف لها غبار وغودر اعظمي في لحد قبر
تراوحه الجنائب والقطار تهب الريح فوق محط قبري ويرعى حوله اللهو النوار مقيم لا يكلمني صديق بقفر لا ازور
ولا ازار فذاك الناي لا الهجران حولا وحولا لم تجتمع الديار وقال آخر كاني باخواني على حافتي قبري يهيلونه
فوقي وادمعهم تجري فيا ايها المذري على دموعه ستعرض في يومين عني وعن ذكري عفى الله عني يوم اترك ثاويا
ازار فلا ادري واخفى فلا ادري وجاء في الحديث المرفوع ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه وفي الحديث ايضا
القبر اول منزل من منازل الآخرة فمن نجا منه فما بعده ايسر ومن لم ينج منه فما بعده شر منه الاصل وقال عليه السلام
وقد سمع رجلا يذم الدنيا ايها الذام للدنيا المغتر بغرورها اتغتر بها ثم تذمها انت المتجرم عليها ام هي المتجرمة
عليك متى استهوتك ام متى غرتك ابمصارع آبائك من البلى ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى كم عللت بكفيك
وكم مرضت بيديك تبغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء غداة لا يغني عنهم دواؤك ولا يجدي عليهم بكاؤك
لم ينفع احدهم اشفاقك ولم تسعف فيه بطلبتك ولم تدفع عنه بقوتك وقد مثلت لك به الدنيا نفسك و
مصرعه مصرعك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة
لمن اتعظ بها مسجد احباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحي الله ومتجر اولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها
الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها واهلها فمثلت لهم ببلائها البلاء وشوقتهم
بسرورها الى السرور راحت بعافية وابتكرت بفجيعة ترغيبا وترهيبا وتخويفا وتحذيرا فذمها رجال غداة الندامة
وحمدها آخرون يوم القيامة ذكرتهم الدنيا فتذكروا وحدثتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا الشرح تجرمت علي ذنبا
ادعيت علي جرما وذنبا واستهوته كذا استزلته وقوله ع فمثلت لهم ببلائها البلاء اي بلاء الآخرة وعذاب جهنم وشوقتهم
بسرورها الى السرور اي الى سرور الآخرة ونعيم الجنة وهذا الفصل كله لمدح الدنيا وهو مبني على اقتداره ع على ما

Copyright King Saud University